

لواحق التأنيث (التاء المربوطة. الألف الممدودة، والألف المقصورة، والكسرة الطويلة) تجرنا إلى تصوّر حالة من حالات اللغة ضاربة في القدم، حيث كانت هذه اللواحق تصدق على طبقات، ويبدو أنها التمتت في طبقة يمكن تمييزها: طبقة الأقل قيمة أو الأدنى، وهي التي يمكن أن تفسّر فصائل الكلمات المختلفة التي قد تضمها: كالتصغير، والتحقير، واسم الجماعة، وكلمات المعاني المجردة».

«وتبعاً لهذا التخمين (الأقل قيمة — الأدنى) تلتقت هذه الفصائل لواحقها (موزعة دون شكّ تبعاً لدرجات وألوان لم يعد في وسعنا أن نبلغها) وريّاً حدث بعد ذلك أن بقيت هذه الفصائل من الكلمات بلواحقها، ثم تحوّلت عن معناها الأول إلى تنظيم من التأنيث النحوي»⁽¹⁾.

ويدعم الأب فليش تخمينه هذا، بواقع آخر، وهو عدم إضافة اللغة العربية الأسماء المحايدة إلى جانب المذكر والمؤنث.

وعليه فإنّ هذا المؤنث النحويّ (مفرداً أو جمعاً) هو الذي كان — في بعض الحالات وسيلة للتعبير عن المحايد، من مثل: الصّالحات، السيّئات، من لغة القرآن. وكثيراً ما تستخدم اللغة الحديثة ذاتها — تقليداً لطريقة قديمة — جمعاً مؤنثاً بالألف

(1) فلش (هنري)، العربية الفصحى — نحو بناء لغوي جديد، ، تعريب وتحقيق الدكتور عبد الصبور شاهين، بيروت: دار المشرق، الطبعة الثانية، ص: